

# العلامة المصلح والداعية المجدد

## الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي

١٤٠٠ - ١١٦ - ٥٩٧



بقلم: د. أحمد عيساوي  
الجزائري

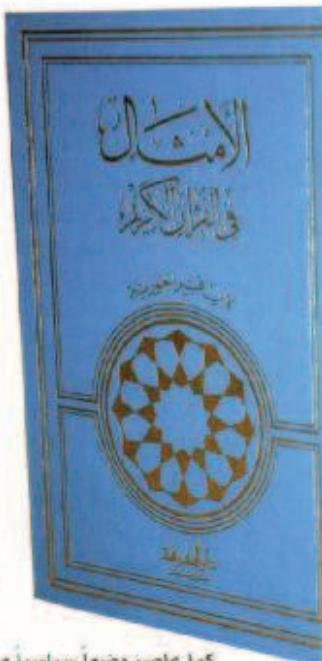
- وشيدياً على الفرد والمجتمع والأمة الإسلامية، بما في المظاهر السلبية كما يلي:
١. فقدان الأمن وضياع الاستقرار، واضطراب الأحوال الداخلية للمجتمع الإسلامي.
  ٢. تراجع المستوى المعيشي والحياتي للفرد وللمجتمع المسلم، وتراجع قيمة المهن والحرف والصناعة والمعروف عن الزراعة والغواصة والاستثمار الزراعي.
  ٣. غلاء الأسعار، وندرة الأقواف، وانتشار المجاعات.
  ٤. انتشار الأمراض والأوبئة والآفات الفتاكية بالناس كالطاعون والزلازل والجحافل وأجداب الأرض، مما أدى إلى هلاك عشرات الآلاف من المسلمين.
  ٥. شیوع الفقر والحاجة، وتدني المستوى المعيشي للمجتمع المسلم، مما اضطر الناس إلى أكل البينة والجيف.
  ٦. انتشار كل أشكال المظالم على كاهل الرعية، كفرض الضرائب الباهضة والأتوات والمكوس... ومصادرة الأموال والأملاك.
  ٧. شیوع العطبية الاستبدالية في المجتمع المسلم، وانقسام المجتمع المسلم إلى فئة غنية متربعة قاهرة، وفئة فقيرة معدمة مفهورة.
  ٨. انتشار الفواحش والبغاء والحرمات كشرب الخمور واتisan المكررات والفواحش والسرقة... (٣)

### الأوضاع الدينية

كما عاصر وضعًا بيئياً وروحيًا وعقدياً قاسداً، أقسم بشيء الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر والتسيير والتخيير والجر والاختيار، وسيطرة روح اليأس والقنوط على أفراد الأمة الإسلامية، وتوسيع نسوة الرواية و الرجال المطرق المصوفية، وتسخير الحكماء لرجالها بهدف استخبار واستغفال الرعية المسلمة النامية في التراب، بالإضافة إلى تقسيم ظاهرة العداء والتقاتل المذهبين.

### بيئة وظروف عصره

عاصر الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي أسوأ فترة مرت بها الأمة الإسلامية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً.. فقد تعرّفت أوصال الخلافة العباسية وضاعت هيمنتها، واستقلّت عنها سائر الأقاليم التي كانت موالية أو تابعة لها، وتناوشتها الفتن والحروب والنزاعات الداخلية من جهة كما هاجمتها في الوقت نفسه قوات الصليبيين المشعثين للدماء ولترويات التمرّد والسيطرة على بيت المقدس من الغرب من جهة ثانية، واحتاجت إقاليمها الشرقية بمحاذيل المغول المتوجهين الزاحفين عليها من جهة أخرى (١).



### الأوضاع السياسية

كما عاصر وضعًا سياسياً متربعاً، أسمى بما يلي:

١. بداية النهاية لأنهيار وتداعي الخلافة العباسية داخلياً وخارجياً.
٢. اشتداد وطأة الحروب الصليبية والغوتية على الأمة الإسلامية.

٣. انتشار الفتن والاضطرابات الداخلية وفقدان الأمن والاستقرار، واضطراب أحوال الرعية،  
٤. زوال سلطة وهيبة الخليفة والخلافة من قبل الرعية المسلمة، ومن قبل أصدقائها وأعدائها (٢).

### الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

كما عاصر وضعًا اجتماعياً واقتصادياً ومعنويًا مزرياً وقاسياً

عاش في بحوجة من العيش، ولم يعرف شفاف الحياة وشذتها، فقل:

.... فمن ألق الشرف فليبلغني إن يختلف في أمره إذا أمكنه، وقد عرفت هذا من نفسي، فأنا ربيت في ترف، فلما اشتات في التقليل وهجر المنشئين، أثر معن مرصاناً قطعني عن كثير من التبعد حتى أتي قرات في أيام كل يوم خمسة أجزاء من القرآن فتناولت ما لا يصلح، فلم أقدر في ذلك اليوم على قراءتها، فقلت: إن لقمة ذؤثر في قراءة خمسة أجزاء، بكل حرف عشر حسنان إن تناولتها لطاعة عظيمة، وإن مطلعها يؤدي البين فيقوته الفعل خير فيبلغني أن يهمج.. فالاعمال يعطي بيته من المداء ما يوافقه.. (١٠)

### عزيمته في طلب العلم

كان عبد الرحمن ماجداً في طفوته في طلب العلم، منكباً على تحصيله، يستعد كل صعب في سبيله، ولا يضيع أوقاته في اللهو أو اللغو أو المزاح أو غيره.. حتى وصل به الأمر إلى تناول وجبة ضعافحقيقة حرصاً على لقاء الشيوخ والأخذ منهم (١١) وقد اشتهر في زمن طلبه للعلم في طفولته وبادية شبابه بكثرة سماع الحديث وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله، وحديثه في معرفة أحوال أصحابه والتابعين، وقد اثمر هذه المعرفة السوية في استقامة سلوكه، ومرافقته لربه تعالى، حتى قال عن نفسه في هذا المجال:

(... ولقد كنت في حلاوة طلبى للعلم ألقى من الشدائى ما هو عندي أحلى من العمل، لأجل ما أطلب وأرجوه، كنت في زمان الصبا أخذ معن أرقفة ياسة هاجر في طلب الحديث، واقعد على نهر عيسى فلا أقدر على إكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها) (١٢).

وقد هام يقنون العلم كلها منه طفولته، وكان يرى التبحر في كل العلوم، ولكن العسر قسر والصياغة طويلة، وقد قال عن نفسه: ...أني رجل حبس إلى العلم من زمن الطفوته فتشاغلت به، ثم لم يحب إلى فن واحد، بل قنونه كلها، ثم لا تنتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه، والزمان لا يتسع، والعمر ضيق.. (١٣)

والملاحظ على فترة طفولته وشبابه ما يلي:

- ١- تقانيه وانتقطاعه المتميز في طلب العلم بمختلف فنونه.
- ٢- استغلاله لظروفه وأوضاعه وانتقطاعه الجدي لطلب العلم.
- ٣- صلابة وسعة تكوينه في سائر العلوم.

### ابن الجوزي العالم والواعظ الخطيب

شكل ابن الجوزي ظاهرة علمية ودعوية ووعظية وتوعوية وتربيوية وتكوينية فريدة من نوعها في عصره، وكان، بحق، سليل تسبب جده الأول الصديق أبي بكر رضي الله عنه، كما كان تاج العلماء العاملين، فقد برز بتتفوقة العلمي الغزير من جهة، وبيناته الدعوية والوعظية والإرشادية من جهة أخرى، بحيث شكل قبلة هدایة للصالحين والمحررين في عصره من عامة الناس وسادتهم.

وقد أضاءه على شق طريقه الدعوي والإرشادي غزارة علمه، وصدق نيته ودراسته، وعزوفه عن ما كان يشغل علماء عصره،

وسيادة روح التقليد والاتكال على أسماء الأقدمين، والزهد في التجديد والانطلاق والاجتياه (٤)

ولعل وصف مؤرخي ذلك العصر له خير دليل، فقد نقلت لنا المصادر التاريخية عن واقع الأمة الإسلامية المزري الكبير، تسوق منها هذه الأطراف، عنها تبين لنا حال الأمة الإسلامية في ذلك العصر المتراخي، وبعد مضي ست وخمسين سنة من وفاة الإمام عبد الرحمن بن الجوزي دهمت جحافل المغول المتوجهين عاصمة الخليفة بغداد واستباحوها أربعين يوماً وقتلوا فيها خلقاً كثيراً حتى الخلقة وانقضت دولة بني العباس (٥)

وفي ظل هذه الأوضاع المزرية ولد وعاش وتكون وترى وتعلم ودوا وجاحد وعلم وضحى.. الشیخ المجدد العلام عبد الرحمن بن الجوزي.

### مولده ونشأته وتعلمه

هو أبو الفرج ابن أبي الحسن بن علي... بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين البغدادي الجوزي الفقيه الحنبلي، الواعظ الخطيب الحافظ المفسر الأديب الأريب الملقب بـ جمال الدين (٦)

سني بالجوزي نسبة إلى فرضة من فرضة ميناء مدينة البصرة التي كانت ترسو بها السفن، وكان جده يسكنها، وقيل كانت بادرة بمدينة واسط شجرة جوز عظيمة ووحيدة بالمدينة ولم يكن غيرها فسمى بها (٧)

لا يجزم الشیخ بسنة مولده، غير أنه قال: ( لما توفي والدي سنة ٥١٤هـ كان لي من العمر ثلاث سنتين حسبما أخبرتني والداني ) قولهاته على هذا تكون بين سنة ٥١٤هـ أو ٥١٢هـ.

وقد ولد ببغداد، ولما توفي والده كفلته أمه وعمته، وكان أهله موسرون بعض الشيء، يتجررون بالتحاص، الأمر الذي هيأ له فرصة التربية والتعلم والتزوّد بمختلف العلوم، وانتقاله به من صغره ولذا يوجد في بعض كتابه المنشورة في بعض كتبه اسم المصمار، التحاصل. (٨)

### طلبته للعلم

ما بلغ الطفول عبد الرحمن السادسة حملته عمه إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وكان أول سماحة للحادي ثلثة سنين، انطلق يستمع للصحاح وللسنن وللمسانيد على شيوخ وقطا حل عصره وقد حفظ القرآن الكريم منذ صغره، ثم قرأ مرتلاً ومحظياً على يد جماعة من أئمة القراء في عصره، وأتم تنسيره على يد آئمه التنسير في عصره، وما بلغ الحلم قراء بمحفظات الروايات بوسائل الإمام المجرى (علي بن البشلان)، ثم تصدى للوعظ في الجامع المنصور ببغداد وهو في سن الحلم، وقد حضر خطبه ومواعظه ودورسه كبار الشيوخ أندال، حتى الخليفة العباسي (المستنصر بالله) كان يحضر دروسه من وراء الستار (٩)

وقد حكم الإمام ابن الجوزي عن طفوته، فقد تربى تربية متربطة ذات به عن ممارسة أي نوع من أنواع الأعمال الخستنة، كما

يسلم من الشيطان والسلطان والجومان بالعزلة. ولكن لا يصلح هذا  
لـ (العالم....(16))  
وكثيراً ما كان يعترض الناس للزهد وللمعبادة، وقد قال في هذا  
المصدّد:  
... لا يصفو التعبيد والتزهد والاشتغال بالأخرة إلا بالانقطاع  
الكلي عن الخلق بمحبّة لا يبصّرهم ولا يسمع كلامهم إلا في وقت  
الضرورة كصلاة جماعة أو جماعة. ويحترز في تلك الساعات منهم،  
وإن كان عالماً يريد نفعهم وعدهم وقتاً معروفاً، واحتترز في الكلام  
معهم....(17))

دروسه ومواعظه المؤشرة

ت scandi الإمام عبد الرحمن بن الجوزي للوعظ والإرشاد منه بلوغه سن الحلم، حتى يرب في فن الوعظ والإرشاد والخطابة الدينية، وكان يحضر مجلسه ويشهد دروسه وخطبه الآلاف من الناس، وعلى راسهم الخليفة العباسي (المستضيء بالله) من ذرء الستار.

كما كان يحرض الناس على التوبة والإتاءة إلى الله تعالى، التاسي بستة رسالته الكريمة محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم، حتى تاب على يديه الآلاف من الضالين، ودخل على يديه إلى الإسلام من أهل الذمة والمجوس والهندوس الآلاف، وقد ناد حملة لزوع الشباب المترفين والضالين اللاهين من الفتنة بالغة إلى أن أرجحهم إلى طريق الحق، ووجهم للجهاد في سبيل الله (١٨).

وما يلاحظ على منهجه الإصلاحي مايللى:

١. استثمار أغلب حياته في طلب العلم والتعلم والتعليم والتأليف والتصنيف.
  ٢. استثمار عمره في العبادة والتزهد والدعوة والإرشاد والتوعية وهداية الناس.
  ٣. تجنبه الاختلاط والمقاسد. وعدم الاحتكاك بالعامة إلا بالقدر الشرعي الكافى.
  ٤. استثمار حياته في إصلاح دين وعقيدة أمته ومجتمعه.

وقد وصف الرحالة ابن حبير الأندلسى مجلسه للوعظ والإرشاد لما حل ببغداد بعد عودته من أداء فريضة الحج (١٩)، مما جاء فيه قوله:

.... ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعدة مجلس الشيخ  
الفقير، الإمام الأول، جمال الدين أبي الفضائل بن علي  
الجوزي، بزارة داره على الشطاط بالجانب الشرقي وهي آخرة على  
تصال من قصور الخليفة وعلى مقرية من باب البصيلية آخر  
بواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا  
مجلس رجال ليس من عمره ولا زيد، وفي حوف القراء كل  
لصيند (٤٠)، أيام الزمان وقرة عن الإيمان رئيس الخلية،  
والمحصوص في العلوم بالرتب العالية، إمام الجماعة، وفارس حلبة  
هذه الصناعة، والمشهود له بالسيق الكريم في البلاغة والبراعة،  
مالك أزمة الكلام في النظم والبنر، والغافص في بحر فكره على  
حقائق العز، فاما نظمه فرضي العطاء، مهاراتي الانطباع، وأما

وابتعاده عن مجالس السمر والتشكيك والترف، وإضاعة الوقت فيما لا يجدي ولا ينفع، بالإضافة إلى تنظيمه الدقيق لوقته، وشعوره المفرط بقيمة الوقت ومكانته للفرد في الدنيا والأخرة، وتجنبه المجالس التسامرية العامة والخاصة، وتفضيله للعزلة لطلب العلم، وعدم الإكثار في محاطة الناس، إلا بالقدر الذي تقتضيه ضرورات الحياة الاجتماعية والدينية، وقد قال عن منهجه التربوي السيد هذا الكثير من المؤرخين والمدارسين، متبرئ عليه، وجاء عليه النهاج التربوي الوحديد والتاجح لطالب العلم، نسوق منها ما أوردته الإمام الحافظ ابن كثير: «وكان وهو صبي ديناً، لا يخالط أحداً، ولا يأكل ما فيه شبهةٍ؛ ولا يخرج من بيته إلا لصلة الجمعة، وكان لا يلقي مع الصبيان، ولا يمارح أحداً» (١٤).

منهج في الحياة

اتخذ الإمام ابن الجوزي منهجاً لحياته في رحولته، اختنق به وتنفس به عن غيره، وكان منهجاً صارماً على نفسه وعلى الآخرين المحيطين به والمتعاملين معه، لا سيما أنه يعيش في مجتمع كثُر فيه المترافقون والناهضون والحاصلون والمتسلكون والمضائضون... فكان إذا زاره أحد من هؤلاء، فمن لا خير فيهم وفي احاديثهم، التي كانت كلها غيبة ونميمة وقدحاً وتقوها بأعراض وكرامات العاملين والمخالفات، اعرض عليهم بطربيسه المؤذنة، ولم يجرأ لهم في تصاحفهم تلك، بحيث يجلس معهم يحسده وهو منشغل عنهم في بعض الاعمال الخفية التي لا تحتاج إلى تركيز وخلوة وصفوة وصمت، وهو يقوم بذلك العمل ويتصنع سمعاً لهم، حتى يفرغ ما عندهم، ويحسنون أخيراً يانتفاله عليهم فيتصورون، وقد عرض علينا منهجه هذا في كتابه التربوي والاتادي والتكويني والتعليمي القيم (سيد الحاضر)، ومما قاله:

عنوان المقالة العامة

خط الإمام عبد الرحمن بن الجوزي لنفسه منهجاً صارماً  
ودقيقاً، أراد من خلاله الإضطلاع بالمهام الدعوية والإرشادية  
والدينية المنوطة به، ولا سيما بعد أن خير الناس وعرفهم على  
حقائقهم التربوية التي أخذت للفساد وللجهل ولتشيطان، والتي  
تقاعست عن المكارم والمعالي من عظام الأمور، وفي شأن تبرير  
عزلته، واقتراءه في طلب العلم، واعتزال العامة، قال:  
... قيليس في الدنيا أطيب عيشاً من منفرد عن العالم بالعلم،  
 فهو أنسنة وحليسه... واستثنائه بالعلم بدله على الفضائل، فهو

بها الموضع كل يوم خميس.  
فيكروا لمشاهدته بهذا المجلس المنكوح، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر، وأرخي طليسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر الفراء أمامه على كراسى موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ما شاؤوا، وأطربوا ما أرادوا. وبدرت العيون برسال الدموع قلماً فرغوا من القراءة، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفة، صنع بخطبته الزهراء الغراء، واتس باوائل الآيات في انتهاها متنظمات، ومتش الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الآية: (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن الله لذو فضل على الناس) (غافر: ٦١ - فاتحوى على هذا السنن ٢٢).

وحسن أي تحسين، فكان يومه في ذلك أتعجج من أمره، تم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ووالدته، وكفى عنها بالستر الأشرف، والجتاب الأزاف، ثم سلك سبيله في الوضع، كل ذلك بدهيبة لا روبية، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابنه العسون، وأيدت النفس سر شوقها المكتون، وتطارح الناس عليه بذنوبيهم معتبرين، وبالنوبة معلنين، وطاشت الآلية والمعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفس لا تملك تحصيلاً، ولا تتميز معقولاً ولا تجد للصبر سبيلاً.

تم في اثناء مجلسه ينشد بأشعار من التسبيب مبرحة التشويق، بدبعة الترقيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها التسبي زهداً، وكان آخر ما انشده من ذلك، ولقد أخذ المجلس ما أخذه من الاحترام، وأصابت المقالة سهام ذلك الكلام،  
**أين قلادي إداية الوجه**  
**وابن قلبني شفاه صاحب العهد**  
**يا سعيد زدني جوبي بذلك رهم**  
**بائله قل لي فـ دـ يـ دـ يـ دـ يـ دـ**

ولم يزل يرددتها والانفعال قد اثار فيه، والمداعع تقاد تمنع

خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل

عن المنبر دهشاً عجلة، وقد أطأط القلوب وجلاً، وترك الناس على

آخر من الحمر، يسبعونه بالذماع الحمر، فمن معلن بالانتحاب،

ومن متصرف في التراب، فإذا له من مشهد ما أهول مراه، وما أسعد

من راه، نفعنا الله ببركته، وجعلنا من فاربه بتصيب من رحمته،  
بمنه وفضله.

وفي أول مجلسه انشد قصيدة ببر القبس، عرالي النفس في الخليفة، قوله:

**في شغل من الخرام شاغل**  
**من هاجه البرق سفع عاصف**

يتقول في هذه عند ذكر الخليفة:

**بـ اـ كـ اـ لـ اـ تـ اللـ كـ وـ نـ وـ دـ**

من العـ يـ دـ يـ وـ نـ لـ اـ مـ اـ مـ اـ

فشرع من انشاده وقد هز المجلس طرباً، تم أخذ في شأنه

وتمادي في إبراد سحر بيائه، وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا

يعطي من ملكة النفس والسلالع بها ما أعطي هذا الرجل،

لسره فيقصد بسحر البيان، ويعطل المثل بقصص وسحيقات (٤١)  
ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويستديء القراء بالقرآن، وعددهم تيف على العشرين فارطاً، فيبتزع الإناث منهم أو الشلاتة آية من القراءة يتلوتها على سبق بتطريب ونشوبيق، فإذا فرغوا ثلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكلموا قراءة، وقد أتوا بآيات مستبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدواً، أو يسميهها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إبراد خطبته، عجلأً مبتدراً، وافرغ في أصداف الأسماء من الفاظه دروا، وانتظم أوائل الآيات المقرؤات في اثناء خطبته شقراً، واتس بها على نسق القراءة لها، لا متقدماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف ومن ينتظمها مرتجلاً، وبيور الخطبة الفراء بها عجلأً.. (افسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) الطور: ١٥، (إن هذا فهو الفضل المبين) النمل: ١٦، فحدث ولا حرج عن البحر، وهيئات ليس الخبر عنه كالخبر.

ثم انه اتنى بعد ان شرع من خطبته برائقه من الوعظ وأيات بينات من الذكر طارت لها القلوب استيقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيج، وتردد شهقانه التشنج، واعلن النابون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلتقي ناصيته بيده فيجزها، ويسعى على راسه داعياً له، ومنهم من يفتش عليه فبيرفع في الأذرع إليه، فشاهدناه هو لا يملا النفس إثابة وندامة، وينذرها هو يوم القيامة، فلو لم درك تبح البحر، ونعتسف مفازات القفر إلا إشاهدة محلى من مجالس هذا الرجل لكات الصدقية الرابحة، والوجهة الملاحنة الناجحة، والحمد لله على أن من بلقاء من تشهد الجمادات بقضائه، ويفضي الوجود عن منه.

وفي اثناء مجلسه ذلك يبتزرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتى به من يشاء، لا إله سواه... (٤٢)

### مواهبه لل الخليفة وأهله وخاسته

يروي الرحالة ابن جبیر الأندلسي أنه حضر مجلساً خاصاً للوعظ بال الخليفة وأهله وخاسته من إلقاء التشنج ابن الجوزي يوم أن كان ببغداد بكرة كل يوم الخميس، لأنه كان يخصص كل يوم سبت بعد صلاة العصر لوعظ العامة في الجامع الأعظم، ويوم الخميس لوعظ الخليفة وأهله وخاسته، ومما جاء فيها قوله:

... ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر لسنة ١١٨٤هـ، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، ومنتظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المنكوح هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد يسطد بالمحضر، وجلوسه

ولما عين الخليفة الناصر بالله ووزيره الشيعي (ابن القصب) تكل به، وتفاه مفهوموا إلى مدینة واسط من غير كسوة ولا كتب ولا مال ولا ممتلكات، بعد أن شتت أهله وعياله، واثناة مدة ذقنه بواسط كان يخدم نفسه بالرغم من كبر سنّه، وقد دامت محنته من سنة ٥٩٥هـ إلى سنة ٦٥٥هـ، ثم عُيِّن عَنْه الخليفة فرزد إلى بغداد (٢٧)، ولكن حياته لم تحل بعد خروجه من سجنٍ ومنتهى في مدینة واسط، فتوفى بعيد رجوعه إلى بغداد في شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ الموافق ١٢٠١م، ودفن بالقرب من الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وبعد أن شيعته الحشود البغدادية إلى متواط الأخير في موكب جنازتي مهيب، مما اضطر الكثيرون من الشيعين إلى الإقطاع من شدة الحر (٢٨).

### عبرة

والحق أن الإمام ابن الجوزي وجده نفسه في عصر انت بالتراء والتفكك والضعف والانهزام في مختلف الميادين، ولذا فقد ظهرت جهوده وتلذذت في تعليم وتنشيف الخاصة، وفي تعليم ووعظ العامة وإصلاح عمالدهم، وفي إصلاح عبوب وأمراض مجتمعاتهم.

فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده، لا إله غيره، (٢٩)

### ميزاته ومميزات شخصيته

**الميزات:**

١. الانقطاع الكلّي للعلم طلبًا وتأليفاً وتدريساً ووعظاً.
٢. عدم الاختلاط بالعامة والخاصة والسلاطين.
٣. تجنبه الاشتغال بالعمل السياسي أو غيره.
٤. تركه لتراث علمي غزير في مختلف علوم عصره، إذ ترك قرابة مائة واثنين وتسعين مؤلّفاً، منها ما هو في عشرة مجلدات، إذ كان يكتب في اليوم ما جملته أربعة كراسيس (٢٥).

### وفاته

مكث الإمام عبد الرحمن بن الجوزي في خدمة العلم بأمر من الخلفاء العباسيين، ودامته خدمته للعلم في مساجد العراق، وبخاصة بغداد وواسط وهي المدرسة المستنصرية من سنة ٥٣٠هـ إلى سنة وفاته ٥٩٧هـ، ١٢٠١م، من عبد الخليفة المقتفي ثم المستجد تم استئصاله ثم الناصر بالله (٢٦).

## الكتابات

- (١) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة الثالثة، من دون طبعة، من دون تاريخ، ج ٢١، ١٤١٠هـ ١٩٩١م، ص ٢٨٨.. وج ٤، ص ٢.. وإن المقدمة.
- (٢) المصادر نفسه، ج ١، ص ٤١.
- (٣) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ١، ص ٢٢.
- (٤) عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق الشیخ محمد الفرازی، دار الشهاب، باقية الجزائر، دون طبعة من دون تاريخ، ج ٤، ص ٤٦.
- (٥) المصادر نفسه، ص ٣٧.
- (٦) المصادر نفسه، ص ٣٧.
- (٧) ابن الجوزي، صيد الخاطر، من دون تاريخ، ج ١٢، ص ٤٦.
- (٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣.. وإن كثيرون، البداية والنهاية، دار الأفاق الحديثة، بيروت، من دون طبعة، من دون تاريخ، ج ١٢، ص ٣٣..
- (٩) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣.. وإن العماد الجنبي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الأفاق الحديثة، بيروت، من دون طبعة، من دون تاريخ، ج ٤، ص ٣٩.
- (١٠) ابن الجوزي، صيد الخاطر، من دون تاريخ، ج ١٢، ص ٣٧.
- (١١) المصادر نفسه، ص ٣٧.
- (١٢) المصادر نفسه، ص ٣٧.
- (١٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، من دون تاريخ، ج ١٢، ص ٣٧.
- (١٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٩.
- (١٥) ابن الجوزي، صيد الخاطر، من دون تاريخ، ج ١٢، ص ٣٧.
- (١٦) المصادر نفسه، ص ٣٧٢.
- (١٧) المصادر نفسه، ص ٣٩٨.
- (١٨) ابن العماد الجنبي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٤، ص ٢٢٦ و ٢٢٠ و ٢٣١..
- (١٩) الرحالة الشهير ابن جبير الأندلس.
- (٢٠) مأخوذ من مثل القائل، (كل المصادر) في جوف الصرا، والصرا الحمار الوحش، بيروت.
- (٢١) عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير